# قراءة في أسباب الثورات الشعبية الجزائريةمن خلال كتابات ضباط الجيش الفرنسي

ط.رامي سيدي محمد*

أ.د جيلالي بلوفة عبدالقادر*

**الملخص:**

تميزت الفترة التي أعقبت بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر بظهور عهد المؤرخين العسكريين الفرنسيين بالمهنة أو تراجمة، وأصبح هؤلاء من رواد المؤرخين للتاريخ العسكري الفرنسي في الجزائر. ونظرا لكثرة وتواصل الثورات والانتفاضات الشعبية في جميع أنحاء الجزائر، حاولت الإدارة الاستعمارية والجيش الفرنسي إيجاد الحلول المناسبة للحد من انتشار وتواصل هذه الثورات لنشر الأمن والسلم، ولذلك حاول العديد من ضباط الجيش الفرنسي بالنظر لخبرتهم في مجابهة هذه الثورات تقديم النصائح والحلول للإدارة الاستعمارية من وجهة نظرهم من خلال كتابات ودراسات والتي ركزت على دراسة أسباب هذه الثورات من أجل تجنبها ومعالجتها مستقبلا.

نسعى من خلال قراءة علمية لهذه الكتابات إلى تبيين الأسباب العامة والخاصة للثورات الشعبية الجزائرية في الفترة التي أعقبت سيطرة الجيش الفرنسي على شمال الجزائر، أي بعد فترة مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي ومحاولة نقدها ومقارنتها بالأسباب الحقيقة لهذه الثورات.

* - طالب دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان، الجزائر.

* - أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ، جامعة تلمسان، الجزائر.

**Abstract:**

The period since the start of the French conquest in Algeria is characterized by the appearance of French military historians by profession or interpreters, they became pioneers of historians. And because of the large number of uprisings across Algeria, the colonial administration tried to find appropriate solutions to reduce the spread and continuity of these insurrections and spread peace and security for this many officers the French army tried for their experience by confronting these revolts provide advice and solutions to the colonial administration of their views through the writings and studies that have focused on studying the causes of these uprisings, so avoid it in the future.

We seek through scientific reading these writings to demonstrate the general and specific causes of Algerian insurgency in the period following the order of the French army in northern Algeria, after the period of resistors Abd-el-Kader and Ahmed Bey and try to criticized then compared with the real reasons for these insurrections.

**مقدمة:**

إن بقاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر لمدة تزيد عن القرن وثلاثين سنة جعل من الحقبة الاستعمارية حقبة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر فتحت مجالا واسعا للبحث والدراسة والتحليل، فظهر العديد من الكتاب والمؤرخون لهذه الفترة وخاصة منهم الفرنسيون الذين حاولوا دراسة الشعب الجزائري

وتاريخه وعاداته وتقاليده، وكيفية رفضهللوجود الاستعماري من خلال المقاومات والثورات الشعبية ثم النضال السياسي إلى الثورة التحريرية التي حققت الاستقلال.

ولم تكن هذه الكتابات التاريخية حكرا على المؤرخين والكتاب الفرنسيين بالتخصص بل ساهم فيها وبشكل غزير عدد من ضباط الجيش الفرنسي إما بشكل رسمي من خلال لجان علمية تابعة لوزارة الحربية الفرنسية أو بشكل فردي خاص من خلال مذكرات ودراسات هؤلاء.

وقد تركزت كتابات ضباط الجيش الفرنسي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر حول الثورات الشعبية من خلال محاولة تفسير وتحليل أسبابها بالدرجة الأولى لإيجاد الحلول المناسبة للحد منها من أجل فرض الأمن والسلم.

فما هي أسباب الثورات الشعبية في الجزائر حسب أراء ضباط الجيش الفرنسي من خلال كتاباتهم المعاصرة لأحداث هذه الثورات؟

من خلال هذه الإشكالية يمكن طرح العديد من التساؤلات أهمها:

- كيف يمكن نفسير ظاهرة الكتابة عند ضباط الجيش الفرنسي وخاصة حول الثورات الشعبية في الجزائر؟ وما هي دوافعهم لذلك؟
- ما هو مفهوم الثورات الشعبية حسب ما ورد في هذه الكاتبات؟
- ما هي الأسباب العامة للثورات الشعبية من خلال هذه الكتابات؟
- كيف فسرت هذه الكتابات الأسباب الخاصة ببعض الثورات كثورة المقراني والشيخ الحداد؟

للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها إعتمدنا على حوالي عشرين مؤلف لضباط من الجيش الفرنسي قاموا بذكر أو تحليل بعض أسباب الثورات الشعبية في الجزائر.

## 1- ظاهرة الكتابة التاريخية عندضباط الجيش الفرنسي ودوافعها

إن عهد المؤرخين العسكريين الفرنسيين بالمهنة أو تراجمة في الجزائر يمتد بين عام 1830 الى غاية عام 1880 وهم الذين تولوا كتابة تاريخ الجزائر أكثر من غيرهم في هذه المرحلة[1].

وخلال العشر سنوات الأولى من الإحتلال ظهر كتاب عسكريون أمثال كاريت، وبيليسي وهانوتو، وديلامار، وغيرهم. وقد شارك هؤلاء في اللجنة العلمية التي أنشات عام 1837، والتي كونتها وزارة الحربية الفرنسية لاكتشاف الجزائر ومعرفة أحوال أهلها السابقين[2]. فكتب كاريت عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات الإقتصاية بينها، وكتب بيليسي دي رينولد كتاب أخبار الجزائر الذي أرخ فيه للثماني عشرة سنة الأولى من الإحتلال، كما كتب هانوتو عن لهجات ونظم الجزائريين، وقام فورنيل بكتابة تاريخ شمال إفريقيا في العصور الوسطى، ومن كُتّاب هذا العهد كان أيضا بيربوجر الذي كتب العديدمن المقالات عن أخبار الجزائرفي المجلة الأفريقية، سواء التي جمعها مباشرة أو التي ترجمها عن كتاب مسلمين[3].

ومن كتاب العصر اللاحق الذي شهد تعدد الثورات الشعبية في الجزائر نجد شارل فيرو، والإسكندر بيلامار، وارنو، وولسن إسيترهازي، وروبان، وترملي ولويس رين، وغيرهم، وقد كتبوا دراسات ومذكرات عن القبائل وزعمائها والطرق والآثار والتواريخ المحلية، واللهجات والنظم والشخصيات السياسية التي لعبت دورا في تاريخ الجزائر كالأمير عبد القادر، والحاج أحمد باي وبومعزة، وبوبغلة، والحوادث الهامة كالمعارك والثورات، ودور بعض العائلات والطرق الصوفية، ومن هذه الكتابات على سبيل المثال والتي ركزت على الثورات الشعبية كتابات العقيد ترومللي (Colonel Corneille Trumelet) التي نذكر منها Études sur les

régions sahariennes. Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 وكذلك كتاب Hitoire de l'insurrection des ouledsidchikh (sud algérienne) ، وكتابات الضابط لويس رين Louis Rinn التي نذكر منها كتاب L'insurrection de 1871، وكتاب Marabouts et khouans، هؤلاء وغيرهم أصبحوا من رواد المؤرخين للتاريخ العسكري الفرنسي خاصة في الجزائر.

وقد إعتمد هؤلاء في كتاباتهم على المصادر الأهلية في غالب الأحيان، وهي نوعين مكتوبة وشفوية،ومن المصادر المكتوبة وثائق العائلات الكبيرة، وعقود الملكية، ومذكرات رجال العلم الجزائريين؛ أما المصادر الشفوية التي إعتمدوا عليها أكثر من الأولى، فقد جعلتهم يسجلون قصصا وأحداثا من مختلف المشارب والأنواع ، وقد ساعدت الإدارة هؤلاء الباحثين بجمع ما تفرق من الوثائق العربية والتركية التي وجدها الفرنسيون ساعة دخولهم الجزائر[4].

وقد اختلفت دوافع هؤلاء الضباط للكتابة في تاريخ الجزائر أو الجيش الفرنسي فيها، وقد انطلقت جل هذه الكتابات من مجرد تقارير دورية عسكرية أو دراسات مكلفين بها في إطار لجان علمية خاصة أو في إطار أعمالهم اليومية في وحداتهم العسكرية في الجزائر والتي تطالبهم بها الإدارة الاستعمارية باستمرار؛ كما أن عددا معتبرا من هذه الكتابات هو عبارة عن مذكرات لهؤلاء الضباط بعد تقاعدهم من الخدمة أو حتى خلال ممارستهم لمهامهم بعد فترة خبرة لسنوات، هذه التقارير والدراسات أو المذكرات كانت تطبع وتنشر لاحقا للاستفادة منها.

ونظرا لكثرة وتواصل الثورات والانتفاضات الشعبية في جميع أنحاء الجزائر، وتجدد بعضهارغم إخمادها في مراحل سابقة كثورة أولاد سيد

الشيخ (1864-1880)، حاولت الإدارة الاستعمارية والجيش الفرنسي إجاد الحلول المناسبة للحد من انتشار وتواصل هذه الثورات لنشر الأمن والسلم، ولذلك حاول العديد من ضباط الجيش الفرنسي بالنظر لخبرتهم في مجابهة هذه الثورات تقديم النصائح والحلول للإدارة الاستعمارية من وجهة نظرهم من خلال كتاباتهم والتي ركزت على دراسة أسباب هذه الثورات من أجل تجنبها ومعالجتها مستقبلا.

## 2- تحديد مفهوم الثورات الشعبية في الجزائر من خلال كتابات ضباط الجيش الفرنسي

هناك تباين واختلاف وأحيانا خلط بين الباحثين في توظيف مصطلحات "مقاومة"، "ثورة" و"انتفاضة" للدلالة على معنى واحد، دون استعمال التدقيق في توظيف هذه المصطلحات، فنجد في العديد من الأحيان مثلا تسمية ثورة 1871 أو انتفاضة 1871، وأحيانا مقاومة 1871، حتى أن هذه التسميات تتواجد أحيانا في نفس الدراسة أو البحث وكأن لها نفس المعنى.

ورغم أن مصطلح المقاومة (Résistance) هو الأشمل والأعم، وهو ينطبق على أي أسلوب في مواجهة الاستعمار، إلا أن المقاومة تعني بشكل أدق من حيث اللغة مجابهة القوة بالقوة[5]، ومعناها الممانعة وعدم الرضوخ لتغيرات وقوى مفروضة من الخارج[6]، أي مقاومة العدو ومنعه من السيطرة على أرض يملكها أويسيطر عليه المقاوِم، وينطبق هذا التعريف الدقيق في الجزائر على المرحلة الأولى من المقاومات الشعبية، أي مرحلة مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي، وهذا بخلاف مصطلحات الثورة[7](revolution) والانتفاضة[8](soulèvement) أوكما جاءت في الكتابات الفرنسية تحت

مصطلح التمرد (insurrection)خاصة منها كتابات ضباط الجيش الفرنسي التي استعنا بها في دراستنا والتي نعنيها بالذات.

هذه الكتابات تتفق في غالبيتها مع التعريف الذي جاء به أحد الضباط الفرنسيين في كتابه مصطلح التمرد (الثورة)بأنه انتفاضة منطقة أوبلد على الهيئة الحاكمة بالكلمات أو بالحركات والأفعال[9]، وفي تعريف أدق يبين وجهة نظرنا يعرف أحد التقارير الفرنسية حول ثورة الأوراس 1916 الثورات الشعبية (التمرد insurrection) على أنها "انتفاضة ضد السلطة الحاكمة، وهي فقط في الجزائر تلك الثورات المسلحة التي ظهرت عندما أصبحت غالبية أرض الجزائر (يعني الشمال) تحت سيطرة فرنسا بعد إنهاء مقاومتي الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق 1847-1848".[10]

## 3- الأسباب العامة للثورات الشعبية من خلال كتابات ضباط الجيش الفرنسي:

قام بعض ضباط الجيش الفرنسي بدراسة وتوضيح الأسباب العامة لاندلاع وتواصل الثورات الشعبية المسلحة والتي شملت العديد من النواحي، السياسية، الإقتصادية، الدينية، والاجتماعية الثقافية، وسنحاول عرضها حسب الأهمية كما وردت في كتابات هؤلاء الضباط.

### أ- الأسباب الدينية:

يكاد يتفق أغلب الضباط في كتاباتهم بشكل عام أن الأسباب الدينية في مقدمة الأسباب التي تأدي إلى اندلاع الثورات والانتفاضات الشعبية، وذلك بسبب توجه الزوايا وشيوخها[11].

ويعتبر بعضهم أن من بين أهم الأسباب الرئيسية للثورات الشعبية الكراهية التي يكنها العرب والمسلمون للفرنسيين[12]، وفي ذلك يقول الضابط

Sabatier Camille "العرب كشعب وكحس ديني لا يمكن إلا أن يكرهوننا ويقاتلونا، وهذا قانون حتمي لا يمكن تغييره وإنكاره...هذه الكراهية زادها حب الانتقام للشعب المهزوم من مستعمره "[13] ، ".. بالإضافة إلى كره المسلمين للمسيحيين وصراع الشرق مع الغرب"[14].

ورغم أن الضابط Frisch .R-J يعترف أن كل شعب محتل له حق الدفاع عن نفسه، إلا أنه يقول أن الشعب الجزائري يستعمل في ذلك حب الانتقام الذي يغذيه الوازع الديني ، والذي يعتبره - أي حب الانتقام - فيروس الثورات الشعبية[15].

من الناحية الدينية كذلك يشير بعض الضباط في كتاباتهم إلى حب الشهادة والتضحية في سبيل الله عند الجزائري من باب تطبيق تعاليم الدين الإسلامي كسبب رئيسي للثورات الشعبية، حيث يقول أحد الضباط في كتابه:"دين الإسلام ينمي حب الوطن، والوطنية لا تنتهي عند العربي بمجرد خسارته أرض وطنه، فهي دائما بداخله باتباعه لتعاليم الاسلام والقرآن الكريم، هذه قوة خاصة لا يجب إيقاضها داخل العربي المسلم"[16]. ويقول العقيدL.Rinn أن تعاليم الدين الاسلامي والقرآن الكريم هي سبب دائم لاندلاع وتواصل الثورات الشعبية[17]. وفي هذا ذهب البعض إلى تحليل بعض الآيات من القرآن الكريم التي تتحدث عن الجهاد وقتال الكفار ليظهروا أن العربي المسلم يحب القتل والتحريض عليه[18].

وقد ربط العديد من هؤلاء الضباط في كتاباتهم هذا التأثير الديني السلبي بالنسبة للوجود الفرنسي في الجزائر بالطرق الصوفية والزوايا وزعمائها الدينيين، فالإدارة الاستعمارية تعتبرها - أي الطرق الصوفية – جماعات سرية ذات مآرب سياسية[19]. والزوايا بهذا المفهوم أصبحت تشكل خطرا على الفرنسيين لأنها لم تصبح فقط مكانا لتحفيظ القرآن، ولكنها تحولت أيضا إلى

مراكز للثورات، وقد تفطنت الإدارة الاستعمارية لخطورة هذا التنظيم الديني ولمست دوره في تأجيج نار المقاومة وقيادتها رغم غموض تنظيمها[20]. ويقول العقيد لويس رين في ذلك:"الثورات دائما موجودة في الأماكن التي تسيطر عليها التنظيمات الدينية (الزوايا)، والتي تدعم زعيم التمرد... وفي بعض الأحيان تجمع الثورة مشايخ دين (Khouans) من طرق مختلفة في الأصل هي غير متفاهمة مثلما حدث في ثورة المقراني سنة 1871"[21]. ويصفها نقيب من الجيش الفرنسي يدعى دونوفو في أحد تقاريره قائلا " إن الزوايا هي مراكز للتآمر وإشعال فتيل التمرد، وهي معادية للوجود الفرنسي، وتحظى بكثير من الاحترام من الأهالي"، كما وصفها أيضا بقوله:"إن تجمعات الإخوان هي هيآت يكون أعضائها هيكلا مترابطا تم تشكيله من قبل، تسكنه طائفة هائلة، وتدفعه إدارة واحدة تجعله يتحرك بطريقة جماعية.."[22]ويؤكد Colonel Noillat أن الزعماء الدينيون هم من يدفعون الشعب إلى الثورة لأنهم دائما ناقمون على الاستعمار الفرنسي[23]، كما يعتبر Sabatier تأثير الأئمة والمشايخ وزعماء الطرق الصوفية كسبب رئيسي في المقاومات والثورات الشعبية.[24] ويدعم ذلك الضابط Frisch .R-J بالقول أن العربي المسلم مستعد للتضحية من أجل الشيخ الذي أعلن الثورة والذي يسمونه أحيانا "المهدي"، والذي وإن انهزم يقولون أن ذلك مقدر له وأن الخلاص من الكافر مقدر ألا يكون على يده بل على يد آخر ولهذا يتواصل القتال وتتواصل الثورات الشعبية[25]. أما الضابط Strangard فلا يعتبر الدين سببا حقيقيا ومباشرا للثورات الشعبية بقوله:".. رغم أن الوازع الديني له تأثير على الثورات الشعبية لكنه ليس السبب الحقيقي وراءها، فثورات الشمال جاءت بسبب غضب القبائل وشيوخها من تصرفات الإدارة، وفي الجنوب عادة الثورات تكون بسبب التعصب الزائد

الـذي يسـتعمل الـدين"[26]، ويوافقـه في ذلـك الضـابط Bourseul في تحليلـه لأسباب الثورة الزعاطشة[27].

**ب- <u>الأسباب الاجتماعية</u>**

يرى الضابط R-J. Frisch أن التركيبة الاجتماعية وطبيعة تفكير العربي غير منتظمة فهو رجل الفوضى حسب تعبيره، حيث يتصرف بتسرع حسب المعطيات الأولية فقط، وبالتالي سهولة استمالته ودفعه إلى الانتفاضة والثورة، ولهذا يجب نقل الحضارة والفكر الفرنسي له[28]. وفي ذلك يرى Sabatier أن الجنس العربي لا يجب أن يتمتع بالحرية من حاكمه، ويجب إذابته في سياسة الاستعمار والتطور الاستطاني الفرنسي مثل الهنود الذين تلاشوا في ظل الغزو الأمريكي، وذلك بأن تمد فرنسا يدها لمن يريد أن ينظم إلى مشروعها، بداية من رفع المستوى التعليمي للعرب من خلال مدارس فرنسية[29]. ويخالفهم في ذلك الضابط Colonel Noellat حين يرى أنه يمكن تفادي العديد من الانتفاضات إذا أعطي للعرب بعض الحرية الإدارية وحرية تسيير شؤون القبيلة وأمور دينهم[30]. ويقول Sabatier أنه يجب التفريق بين العرب والبربر لأنهم لا يتشابهون فالبربر يثورون أكثر من العرب، لأنهم لا يحبون التدخل في شؤونهم الاجتماعية وطريقة عيشهم أكثر من العرب، بالإضافة إلى تمسكهم وتعلقهم الشديد بأرضهم وتقاليدهم[31].

كما اعتبر أنه يجب إعادة النظر في نظام القبيلة ككيان سياسي عائلي لأن تضامنها فيما بينها هو هو الذي يغذي الثورات والانتفاضات (التمرد)،فهي تبقى واقفة في وجه السلطة الاستعمارية كالحصن الحصين، لدى يجب تفكيكها والسيطرة عليها بنزع شرعية وجودها الإداري الرسمي من خلال ربط العرب بالإدارة كأفراد وليس كجماعات (أي قبائل)؛ كما اقترح كحل ثاني إعادة تنظيم القبائل من خلال إشراك العنصر الأوربي في تسييرها مع رفع

درجة مراقبتها، لأن شيخ القبيلة وإن كان معين من طرف الإدارة الاستعمارية ولأنه يملك كل السلطات في القبيلة (رئاسة القبيلة سياسيا ودينيا، القضاء، جمع الضرائب...) فهو الوسيط الوحيد بين الإدارة الاستعمارية وأفراد القبيلة، وليحافظ على هذه السلطات فهو لا ينقل للإدارة إلا ما يريده ولا يقدم إلا مصلحته، وفي حالة عدم رضاه عن الإدارة ربما يكون هو من يقود الثورة ضدها[32].

ويوافقه Colonel Noellat الرأي حين يقول:"يجب حل هذا التنظيم السياسي والعائلي الذي يسمى القبيلة فهو من أهم أسباب الثورات الشعبية لأن تضامن وتلاحم أفراد القبيلة فيما بينهم أو مع قبائل أخرى تجمعها بها أواصل قرابة أو طرقية تمنح قوة للثورات الشعبية، لهذا يجب ربط الأهالي بالإدارة كأفراد... "[33]

ويؤكد ذلك الضابط دي شايرون (Du Cheyron) في مذكراته حيث يتهم شيوخ القبائل بالتسبب في التمرد أو قيادة ثورة كلما أحسوا بفقدان بعض سلطاتهم حتى أولائك الذين عينتهم فرنسا[34]؛ وفي ذلك أيضا يقول الكولونيل ترومالات أن عائلة أولاد سيد الشيخ كانت تملك تأثيرا هائلا على الأهالي في الجنوب، واعتقادها أنها يمكن أن تنافس وتهزم فرنسا بالإضافة إلى الأغراض الشخصية لحمزة بن بو بشير زعيم القبيلة في توسيع سلطته السياسية في الصحراء هي الأسباب الرئيسية لاندلاع ثورة أولاد سيد الشيخ وتواصلها[35].

كما يرجح Colonel Noellat بعض أسباب الثورات إلى حسابات بعض مشايخ الطرقية في زعامة القبيلة خاصة في حالة إختيار الإدارة الاستعمارية زعيما لقبيلة على حساب زعيم آخر منافس يملك هو الآخر نفوذا وسلطة وشعبية، مما يدفعه للثورة، كما حدث في ثورة الأوراس سنة 1879.[36]

**ج- الأسباب السياسة**

يعتقد النقيب Coipel أن السياسة الاستعمارية في الجزائر من أهم الأسباب التي تأدي إلى انتشار التمرد واندلاع الثورات الشعبية حيث يقول"... كما أننا بالتقليل من احترامهم واحتقارهم تسببنا في تأنيبهم ضدنا ليثوروا علينا... ألم نعطهم العهد في الاتفاقية بين ديبورمون والداي حسين في 05 جويلية 1830، لكننا لم نحترم الحريات والقوانين والتقاليد والممتلكات... وكيف نسميهم أهالي وهم لا يتمتعون بأقل الحقوق المدنية.. "[37]

ويقول ضابط آخر أن هذه السياسة أدت إلى كره الشعب الجزائري لفرنسا والتي كانت من أسبابه أيضا المجازر والمذابح المرتكبة منذ بداية الاحتلال دون رحمة وهي من أهم أسباب الثورات الشعبية كذلك حسب رأيه، بالإضافة إلى عدم ثقة العربي بالأوربي وفشل سياسة الإدماج[38].

كما يعتقد بعض الضباط في كتاباتهم أن قادة الثورات الشعبية يستغلون الأوضاع السياسية الداخلية لفرنسا ونشاطات الجيش الفرنسي خارج الجزائر ليعلنوا تمردهم وثوراتهم، حيث تزامنت ثورة الزعاطشة سنة 1848 مع الثورة الفرنسية التي أسقطت النظام الملكي الدستوري في فرنسا[39]، وثورة المقراني سنة 1871 مع الحرب الفرنسية البروسية، وثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881 مع بداية الحماية الفرنسية على تونس، وكانت هذه الأحداث تشغل عددا من قواة الجيش الفرنسي كما أنها كانت ترفع من معنويات الثوار، مما يصّعب مهمة القضاء على هذه الثورات، ويقول أحد هؤلاء الضباط أن الجيش الفرنسي بذلك يفقد مبدأ الضربة السريعة الفعالة في بداية الثورة مما يأدي إلى انتشارها[40].

ويرى هذا الضابط أن ضعف مبدأ الإدارة الفرنسية للجزائر والتغيرات الحاصلة فيها، مع تغير النظام في فرنسا من الملكي إلى العسكري إلى المدني،

أدى في كثير من الأحيان إلى قيام الثورات الشعبية، لأن القبائل وزعمائها ملوا من تغير الأنظمة وكثرة القوانين[41]. ويشير ضابط آخر أنه منذ سنة 1847 بدأت الثورات الشعبية تنتشر في المناطق التي تديرها المكاتب العربية، وهذا دليل على أنها من بين أهم العوامل التي تساعد على تفجيرها، فثورة 1864 اندلعت في منطقة قبائل أولاد سيد الشيخ في المناطق العسكرية بعيدا عن القرى والمدن والمزارع الأوربية[42].

أما الضابطGraulle Eugène-Louis-Vincent وفي تحليله لأسباب ثورة الشيخ بوعمامة، يقول أن أهم أسباب الثورات الشعبية في الهضاب والجنوب هو غياب السلطة الفرنسية عن هذه المناطق وتمتعها باستقلالية شبه تامة تحت قيادة الزوايا وشيوخها، مما جعل الأشخاص الناقمين على فرنسا والفارين من مناطق أخرى والذين يكنون العداء لفرنسا يلجؤون إلى هذه المناطق ويحرضون شيوخ القبائل هناك على التمرد والثورة[43].

كما يرى الضابط R-J. Frisch أنه من أهم أسباب الثورات الشعبية في الجزائر التدخل في الشؤون الداخلية للأهالي والتعامل معهم كمواطنين من حيث مراقبتهم وإحصائهم وإدارتهم في أدق الأمور، وهذا ما يجرح مشاعرهم ويمس شرفهم ويؤنبهم ضد الاحتلال وهذا ما لم يكن مثلا بالنسبة لروسيا في آسيا أو بريطانيا في مستعمراتها[44].

ورغم أن قوانين الإدارة الاستعمارية جاءت أغلبها ضد الشعب الجزائري وفي خدمة الإدارة والمستوطنين وكانت من أهم أسباب الثورات الشعبية، إلا أن الكولونيل نويلات (Colonel Noellat) يرى أن قانون الأهالي Sénatus consulte لسنة 1863 كان في صالح العرب بإعطائهم الأراضي بشكل فردي رغم ذلك كان سببا مباشرا في ثورة أولاد سيد الشيخ سنة[45]1864، لأن

هذا القانون حسب رأيه أظهر ضعف فرنسا أمام الأهالي وهذا ما أعطاهم نوع من الثقة، فطمع بعضهم في سلطات أكثر، ولهذا قامت ثورة[46] 1864.

**د- الأسباب الاقتصادية**

قامت السلطات الفرنسية بنهب أراضي الجزائريين والاستلاء عليها بموجب جملة من المراسيم والقوانين، حيث صادرت مساحات واسعة من الأملاك العقارية[47]، كما استولت على أراضي العثمانيين والأوقاف وفرضت حراسة على الأراضي ملك القبائل بكاملها بحجة أنها تركتها دون زراعة أو استغلال، ثم وسّعت هذه العملية لتستولي على العديد من الأراضي مما زاد من تحويل أملاك الجزائريين إلى المستوطنين الأجانب[48]، فكانت هذه الإجراءات من أهم أسباب الثورات الشعبية في الجزائر.

وفي هذا الصدد يدعم العقيد جول كينمو ( Lieutenant-colonel Quinement) رأي خليفة القبائل الكبرى علي بن الشريف (الذي أدرجه في كتابه)، حيث صرح به علنا في إجتماع بالجزائر العاصمة سنة 1877 مع السلطات الفرنسية بقوله أن فرنسا وإن كانت تمارس حقها كمستعمر في أخذ أراضي الدواوير والقبائل فإنها تأدي إلى غضب الشعب وثورته، لأن الشعب لا يريد الأموال بل يريد الحفاظ على أرضه فهي مصدر عيشه، ويضيف هذا الضابط إلى ذلك رأي الجنرال بيلي Pellé الذي كان يرأس أحد المكاتب العربية حين قال سنة 1850:"إن الحرب الأكثر شراسة التي سنواجهها هي حرب امتلاك الأراضي وهي أصعب من حروب الاحتلال"[49].

كما يؤكد الضابط R-J. Frisch أن نزع أراضي القبائل وإعطائها للمستوطنين وبالتالي تجويع هذه القبائل من أهم أسباب قيام الثورات الشعبية[50].

وبالاضافة إلى نزع الأراضي يرى العديد من الضباط من خلال كاتباتهم أن الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري من أهم

أسباب الثورات الشعبية، فمثلا يرجع الضابط Bourseul السبب الرئيسي لثورة الزعاطشة إلى غضب أهالي منطقة الزيبان على الإدارة الاستعمارية بعد زيادتها في الضرائب على التمور[51].

## 4- الأسباب الخاصة ببعض الثورات "ثورة 1871 أنموذجا"

تطرقت العديد من كتابات ضباط الجيش الفرنسي إلى ثورة معينة من الثورات الشعبية بشكل خاص، فذكرت كل ما يتعلق بها بالتفصيل ومنها الأسباب التي أدت لانطلاقها، ومن هذه الكتابات نذكر كتاب عن ثورة الشيخ بوعمامة للضابط غرول (Graulle)، وكتاب عن ثورة الزعاطشة للضابط Herbillon، وغيرها الكثير، لكن الثورةالتي جعت العديد من المؤرخين خاصة الفرنسيين يقومون بعدة دراسات حولها وكان من بين هذه الدراسات العديد من كتابات ضباط الجيش الفرنسي ومنهم من شارك في أحداثها، هي ثورة 1871 أو ثورة المقراني والشيخ الحداد.

وتعتبر ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871 من أهم الثورات الشعبية في الجزائر بالنظر لظروف اندلاعها ولخطورتها على الوجود الفرنسي في الجزائر من خلال سرعة انتشارها والمناطق التي مستها والعدد الكبير من المجاهدين الذين شاركوا فيها، ومن خلال دراسة العديد من كتابات الضباط التي تطرقت لهذه الثورة وجدنا أنها اعتبرت أسبابها كالتالي:

سبق وأن ذكرنا أن بعض الضباط يعتقدون أن بعض قادة الثورات الشعبية يستغلون الأوضاع العامة لفرنسا الداخلية والخارجية، وهنا يعتقد أحدهم أن قادة ثورة 1871 أرادوا اغتنام فرصة انكسار الجيوش الفرنسية أمام الألمان والانقلاب الذي وقع من طرف اليساريين وإعلان الجمهورية

الفرنسية الثالثة ما أوقع السلطة الاستعمارية في فوضى، من أجل الخلاص وطرد المستعمر[52].

ويعتبر العقيد Louis Rinn أن ثورة 1871 لم تكن لتندلع لولا الدوافع الدينية حيث يقول أن ثورة المقراني والحداد وبومزراق بالقبائل الكبرى، احتضنها الجزائريون وباركتها الزاوية الرحمانية[53]، ويضيف في كتاب آخر: "لم تكن انتفاضة المقراني لتتحول إلى ثورة عارمة لولا انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم وحملهم للسلاح بصورة جماعية[54].

يرى أحد الضباط في كتابه أن من أسباب ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871 تغيير الموظفين الإداريين في النظام بأشخاص جدد لا يملكون خبرة في التعامل مع الأهالي ومع العرب، فالإدارة الجديدة غيرت التعامل مع العرب بعد إصدار قراري 24 أكتوبر و24 ديسمبر الذي أصبح بموجبه العرب لا يخضعون لسلطة واحدة وهي العسكرية بل لعدة سلطات إدارية وسياسية فقد أصبحوا مضطرين للتعامل مع عدة جهات وأشخاص مما أدخل في أنفسهم الشك وفقدان الثقة وساد الخوف من المستقبل، مما أجج التوتر وأدى إلى التمرد[55].

ويضيف إلى ذلك أن هؤلاء الأوربيين المستوطنين الذين أرادوا إدارة الجزائر مكان العسكريين بعد سنة 1871 قاموا بسب العسكريين وطرد العديد من الفرق العسكرية، ورغم أنهم قلة فقد سيطروا على المجالس وعلى الثروات مما أغضب الأغلبية العربية معتبرة ذلك تهميشا وخطرا على مصالحها خاصة منهم الأسر الأرسطقراطية[56].

ويقول ضابط أخر في هذا الصدد أن محاولة إزالة الجيش العسكري وتغييره بجيش مدني من الإداريين للتحكم في المستعمرة محاولة غير مجدية ومستحيلة، فالعرب بعددهم (2,5 مليون) هم جنود عساكر من 18 إلى 60

سنة وهذا خطر، ولهذا فالجيش الفرنسي يبقى مهما لسلامة المستعمرة والتحكم في القبائل[57].

ويلخص ضابط آخر في كتابه أسباب هذه الثورة فيقول:"إن الجزائريين يحترمون عهودهم مع فرنسا، وأنهم دفعوا بأبنائهم للقتال معها ضد بروسيا لكن مع مجيء الحكم المدني أصبحت أراضيهم وممتلكاتهم ومعتقداتهم في خطر بسبب تعصب المستوطنين الأوربيين الذين طردوهم من المجالس وأنهوا مشاركتهم في الحكم وتسيير شؤونهم، وزاد من ذلك تجنس اليهود الذي أعطى حق المواطنة لليهود ورفع من شأنهم على العرب..."[58]

ويعتبر العديد من ضباط الجيش الفرنسي من خلال كتاباتهم أن السبب الرئيسي لهذه الثورة هو قانون كريميو الذي منح الجنسية الفرنسية لليهود[59]، حيث يقول أحدهم في ذلك:"قانون 24 أكتوبر لتجنيس اليهود كان خطأ جسيما، فالعرب الذين أعطوا أبنائهم للقتال لصالح فرنسا أصبحوا يروا أنفسهم أقل شئنا من اليهود الذين يعتبرونهم أعدائهم وأقل شئنا منهم في الأصل..."[60]، ويقول أخر:"قانون كريميو جرح الشعور الديني لشعب تعداده 2.5 مليون"[61].

بينما تساءل ضابط أخر عن الأسباب التي منعت الجزائريين من استغلال فرصة مشاركة أعداد كبيرة من جنود الجيش الفرنسي الذي كان في الجزائر في الحرب البروسية الفرنسية، ليقوموا بالثورة، لماذا انتصروا حتى حل السلم وعادت أغلب القوات الفرنسية إلى الجزائر، هذا جعله يجزم قائلا "إن ثورة 1871 تسببنا فيها من كل النواحي نحن فقط، لأن روح التمرد موجودة في دم العربي ونحن الذين أيقضناها.."[62] ويقول أيضا:"ونحن مجبرين على القول أن السبب الرئيسي لهذه الثورة هو قانون كريميو الذي حسّن اليهود وأغضب العرب.."[63]. في حين يتهم الضابط دي شايرون (Du Cheyron)

في مذكراته البشاغا المقراني ويصفه بالسبب المباشر في الثورة لحسباته الشخصية وإحساسه بفقدان الثقة وبعض ممتلكاته وسلطاته[64].

**الخاتمة:**

من خلال عرضنا لأهم أسباب الثورات الشعبية العامة والخاصة كما أوردها بعض ضباط الجيش الفرنسي في كتاباتهم ودراساتهم يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات التالية:

– تعدد وتنوع كتابات ضباط الجيش الفرنسي في دراسة تاريخ الوجود الاستعماري في الجزائر ومنه أسباب الثورات الشعبية في الجزائر، حيث أن بعض الضباط كتب أكثر من كتاب في هذا المجال، لكن أغلبها عبارة عن تقارير أو دراسات مصغرة أو تجارب منفردة ويظهر ذلك من خلال انحصار بعضها في عدد قليل من الصفحات (البعض لا يتجاوز 20 صفحة).

– وقد إعتمد هؤلاء في كتاباتهم على المصادر الأهلية في غالب الأحيان المكتوبة والشفوية، كوثائق العائلات الكبيرة، وعقود الملكية، ومذكرات رجال العلم الجزائريين بالإضافة إلى قصص وأحداث من مختلف المشارب والأنواع ، وذلك بمساعدة الإدارة الاستعمارية.

– أغلب كاتبات ضباط الجيش الفرنسي أهملت السبب الرئيس والحقيقي للثورات الشعبية وهو الوجود الفرنسي أو الاحتلال الفرنسي للجزائر، لأن الشعب الجزائري كان يعبر منذ بداية الاحتلال للجزائر ودون انقطاع عن رفضه لهذا الوجود الاستعماري بالمقاومات والثورات الشعبية.

– العديد من هذه الكتابات أعطت أسباب واهية وغير حقيقية وبعيدة عن الواقع في محاولة لتضليل الرأي العام وتزييف التاريخ بتواطؤ مع إدارة الاحتلال، وذلك باتهام الشعب الجزائري بالتخلف أو الهمجية أو اتهام زعماء

وقادة الثورات الشعبية بخدمة مصالحهم الشخصية واعتبار ذلك من أهم أسباب الثورات الشعبية في الجزائر.

– هناك بعض الكتابات عالجت أسباب الثورات الشعبية بموضوعية أكثر وبينت بعض الأسباب الحقيقية لها وهم الضباط الذين عادة كتبوا كتاباتهم بعد تقاعدهم من الخدمة في الجيش الفرنسي، أو بعد نهاية مرحلة الثورات الشعبية خاصة خلال فترة الحكم المدني في الجزائر بعد 1870.

– اختلفت الكتابات من خلال تقديم نوع من الأسباب عن آخر لكن أغلبها اعتبر الأسباب الدينية في مقدمة الأسباب التي أدت إلى قيام الثورات الشعبية متبوعة بالأسباب الاجتماعية ثم السياسية فالاقتصادية.

– احتوت العديد من الكتابات على جملة من النصائح للإدارة الاستعمارية ومجموعة من الحلول التي يجب اتباعها من أجل الحد من الثورات الشعبية وذلك من خلال دراسة أسبابها الحقيقة.

---

**الهوامش:**

1. Patricia M. E. Lorcin, Kabyles, arabes, français: identités coloniales, traduite par Loie Thommeret, Pulim Edition,2005, p63
2. Numa Broc, Les grandes missions scientifiques françaises au XIXe siècle (Morée, Algérie, Mexique) et leurs travaux géographiques, Revue d'histoire des sciences , Volume 34, Numéro 3, Année 1981 pp. 319-328.
3. Ibid, p 330-333 .
4. Ibid, p 320-335.
5. صبحي حمودي ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت ، 2001 ، ص 120.

6. يوسف محمد رضا ، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة ، ط1، مكتبة ناشرون ، بيروت، 2006 ، ص 152.
7. الثورة في معناها العام هي تغيير جذري في مجال من المجالات وانقطاع مفاجئ وعنيف في الاستمرارية ، وتقرن كلمة الثورة ، عادة بصفة لتحديد ماهيتها ( الثورة الثقافية ، الثورة العلمية، والثورة الزراعية ...)؛ أنظر: مؤلف جماعي ، الموسوعة العسكرية ، ج1ن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1981، ص359.
8. الانتفاضة هي تحرك عنيف للجماهير الشعبية الريفية ، بقيادة زعامات دينية أو مدنية أو عسكرية ، ضد الاستعمار، وظهر هذا الأسلوب في القرنين 19 و 20 م؛ أنظر: أحمد عبيد ، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية ( الجزائر ، تونس ، المغرب ) ابن النديم للنشر والتوزيع ، الرباط ، (د.ت) ، ص 61-65.
9. Un ancien officier de l'armée d'Afrique, L'Algérie devant l'assemblé national « causes des insurrections algériennes », Versailles Muzard Libraire, Paris, 1871, p08.
10. Archives de la Wilaya d'Alger, Bibliothèque, cabinet du gouvernement général de l'Algérie, les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de Batna 1916, pp 369-370.
11. CorneilleTrumelet (Colonel), Histoire de l'insurrection des Ouled Sidi Ech-chikh (sud Algérie) 1864-1880, Seconde partie, Adolphe Jordan Libraire-Editeur, Alger, 1884, p03.
12. Sabatier Camille, La questions de la sécurité, insurrection et criminalité : les difficultés Algériens, Adolpi le Jourdan librairie Edition, Alger, 1882, p18.
13. Ibid, pp 39-40
14. Ibid, p06.
15. R-J. Frisch (Capitaine), considération sur la défense de l'Algérie la Tunisie et L'Armée d'Afrique, imp librairie militaire,Paris, (s.d), pp 161-162.

16. Noëllat (Colonel), L'Algérie en 1882, librairie militaire de J.Dumain, Paris, 1882, p116.
17. Louis Rinn, Marabouts et Khouans, Etude sur L'islam en Algérie, Adolphe Jourdan Libraire-Editeur, Alger 1884, p510.
18. Sabatier Camille, Op.cit, p 20-25.
19. شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1870-1919)، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص549.
20. صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844-1871)، منشورات جامعة باجي مختار، 2007، ص09.
21. L. Rinn, Marabouts et Khouans, Opcit, p111.
22. شهرزاد شلبي، ثورة ماحدة العمري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في ق19، شهادة ماجستير، جامعة الحاج لخضر – باتنة، 2008-2009، ص ص 126-127.
23. Colonel Noillat ,Op.cit, p105.
24. Sabatier ,Op.cit, pp 30-31.
25. R-J. Frisch, Op.cit, p161.
26. Stargard Poméranie, Notes d'un prisonnier de guerre, 3emme série, L'Insurrection en Algérie 1871, Victor PALME Libraire-Editeur, Paris, 1872, p21.
27. E-CH Bourseul, Souvenirs de la guerre d'Afrique: Insurrection des Zibans « ZAATCHA », Metz Imp militaire de verronai, Paris, 1851, p5.
28. R-J. Frisch, Op.cit, pp 161-162.
29. Ibid, p44.
30. Colonel Noillat, Op.cit, p116.
31. Sabatier Camille, Op.cit, p 22-28.
32. Ibid, pp42-43.
33. Noëllat, pp 42-43.

34. Le Commendant Du Cheyron, Journal d'un officier : Bord-Bou-Arreridj pendant l'insurrection de 1871 en Algérie, Henri Plon imprimeur-Editeur, Paris, 1873.
35. Trumelet, Opcit, p 9-16.
36. Colonel Noëllat, Op.cit, pp 103-104.
37. Coipel(Capitaine), le recrutement des indigènes d'algérie, librairie militaires R.Chapelot, Paris, 1910,p 3-5.
38. Paul Blanc, L'Insurrection en Algérie, Imp de L'Akhbar, Alger, 1864, p 36-38.
39. Herbillon, Émile (Général), Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849 : relation du siège de Zaatcha. Librairie militaire, Paris, 1863, p13.
40. Un ancien officier de l'armée d'Afrique (inconnu), L'Algérie devant l'assemblé national : causes des insurrections algériennes, Versailles Muzard librairie, Paris, pp 7-8.
41. Ibid, p8.
42. Paul Blanc, Op.cit, p2.
43. Graulle Eugène-Louis-Vincent (Commandant), Insurrection de Bou-Amama (avril 1881), Henri charles-lavauzelle Editeur militaires, Paris,1905, p9.
44. R-J, Frisch, Op.cit, pp 165-166.
45. Noëllat, Op.cit, p25.
46. Ibid, p33.
47. جيلالي صاري ومحفوظ قداش، الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الاصلاحي والثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص125.
48. إبراهيم مياسي، الإستطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د.ت)، ص115.

49. Jules Quinement, Solution de la question de l'Algérie et de la Tunisie, Imp Rochelles, Paris, 1881, p09.
50. R-J. Frisch, Op.cit, p 164.
51. E-CH Bourseul, Opcit, p05.
52. Un ancien officier de l'armée d'Afrique, Opcit, pp 7-8.
53. Rinn Louis, Histoire De L'insurrection de 1781 en Algérie-Alger, IMP, Jourdan , 1891, p102.
54. Rinn .L, Opcit, p38 et Marabouts et Khouans, Etude sur L'islam en Algérie, Alger : Jourdan, 1884, P :552.
55. Un ancien officier de l'armée d'Afrique, Op.cit, p9.
56. Ibid, p11.
57. F. Le Blanc de prébois, Bilan du régime civil de l'Algérie à la fin de 1871, E.DENTU librairie Editeur, Paris, 1872, p15
58. Louis Serre, Les arabes martyres : études sur l'insurrection de 1871 en Algérie, Elachaud,Editeur, Paris, 1873, pp30-31.
59. Robin(Colonel) , Insurrection de la grand Kabylie en 1871, Henricharles-lavauzelle Editeur militaire, Paris, 1901, p56 ; Stargard Poméranie, Op.cit, pp 9-10.
60. Un ancien officier de l'armée d'Afrique, Op.cit, p10.
61. F. Le Blanc de prébois, Op.cit, p13.
62. Louis Serre, Op.cit, p26.
63. Ibid, p 7-9.
64. Du Cheyron, Op.cit, p15.